العلاقات الجوهرية

بين اللغتين العربية والآرامية « السريانية »

في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبية

— ٣ —

ونحن نخالفهم جميعاً لسببين : الأول لأنهم اختلفوا جميعاً ولم تكن آراؤهم إلا من قبيل الحدس والتخمين ، ولا يمكن بناء حقيقة لغوية وتأريخية على الظن والحدس والتخمين ، والثاني لا نرى موجباً في هذه الحادثة يحمل امرأ القيس أمير العرب على أن يجعل « بنيه » فوارس « للروم أو للفرس ، ولا سيما أن الأستاذ رودنسون درس امكان انحياز امرئ القيس هذا الى جانب الروم والفرس ، وخرج بنتائج مبهمة متناقضة رغم تحرياته الكثيرة ، ولذلك نضطر الى سبر غور هذه الجملة (فرسو لروم) في اللغة السريانية فنقول :

يحتمل التصور أن تكون كلمة « فرسو » مستمدة من كلمة (الفارس) العربية أو من كلمة (ܦܪܣܝܐ) السريانية ، إلا أن (ܦܪܣܘ) فرسو في حالتها الحاضرة بعيدة عن هذا المعنى بالنسبة الى صيغتها الفعلية ، لأنها أي (فرسو) (ܦܪܣܘ) فعل ماض لجمع الغائب ومعناها بالضبط (بسطوا ، نشروا ، مدوا ، انتشروا ، سموا) .

وأما الكلمة الثانية من الجملة فهي (لروم ܠܪܘܡ) ومعناها العلي والمعالي وما الى ذلك ، وتكون القراءة الصحيحة لهذه الجملة « فسموا الى العلى أو المعالي » ، ولا سيما أنها أردفت بالجملة العربية الفصيحة وهي « فلم يبلغ ملك مبلغه » .

ونستطيع هنا الخروج بالنتيجة الأخيرة وهي أن هذه الجملة جملة آرامية توضح سمو الانتصار الذي أحرزه (امرؤ القيس) لقبيلته وبنيه ، وهي عندنا أصح من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كل المعاني التي أضفاها عليها علماء الساميات لجهلهم روح اللغة الآراميـة ، وترجمة ألفاظها بدقة .

٥ — بقيت لدينا الكلمة الأولى من السطر الخامس من هذا الرقيم الهام وهي (عكدى) ، وقد أثبتها الأستاذ ولفنسون في « الحول » (عكدى) ، وقرأها الأستاذ رودنسون « قط وهلك » ونحن نخالفهما في ذلك ونقول إن الكلمة هي « عكرى » لا « عكدى » كالكلمة السابقة « عكرى » ، ولكن يختلف معناها بالآرامية عن الأولى ، فعلمنا أن تلك معناها « منع ، عطل » ، أما هذه فهي مستمدة من كلمة « عكرا حدا » ومعناها « ذرية ، سلالة ، قبيلة » منها (ص ٤٤٠) . ونحن نميل الى إعطائها أحد هذه المعاني ، وتكون قراءة الجملة كما أثبتناها : « وذريته أو قبيلته ، وهلك سنة ... » ، وهي معطوفة على الجملة السابقة : (فلم يبلغ ملك مبلغه وذريته أو مبلغ ذريته وقبيلته) .

تبلغ هذه الكتابة زهاء ٤٨ كلمة تتخللها احدى عشرة كلمة آرامية وهي من الجمل البليغة بالآرامية كجملة (امر التاج مهنلحا) و (فر « ڤنهه لهم » سموا الى العلى) وغير ذلك من دقائق الآرامية ، وما عدا ذلك فان وضع كثير من الكلمات العربية يشبه الوضع الآرامي الغربي ، أي بالإمالة الى الضمة الأخيرة كقوله : « نزارو ، معدو ، كلهن — نحنهم أي كلهم ، فرسو » ، وهنا يجب أن نعلن أن في هذا الرقيم تجمعت مادة من اللغتين الشقيقتين وهو ما يؤيد تعاونها وسيرهما جنباً الى جنب في مختلف عصور التاريخ .

واذا تقدمنا نحو الجنوب ، نجد هناك مدنية كاملة آرامية وعربية هي مدنية الانباط التي ظهرت في شبه جزيرة طور سيناء على أنقاض المملكة الآدومية ، وكانت عاصمتها (سلع) وهذه كلمة آرامية وعبرية معناها الصخرة الناتئة[1] .

---

(١) قاموس أودو السرياني ص ١٩٨٢ وقاموس منـا السرياني العربي ص ٧٩٥ وهي بالآرامية ڤكڤا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وسماها اليونان بترا Petra كما عرفها العرب بـ (البطراء) أخذاً عن الكلمة اليونانية ، وتوسعت مملكة الأنباط (أو النبط أو النبيط) فانحدرت الى بلاد الحجاز من جهة ، ثم صعدت شمالاً حتى بلغت صحراء سورية وشملت دمشق ووصلت الى أطراف نهر الفرات .

أسست هذه المملكة بين القرنين الرابع والخامس ق . م . ، وقرضها الرومان سنة ١٠٦ م ولعبت أدواراً هامة في تأريخ الشرق العربي .

يعتقد علماء الساميات أن النبط خليط من أقوام آرامية وعربية [١] ، لانتشارهم في بلاد عربية واسعة حتى عرفت مملكتهم في طور سيناء باسم بترا العربية ، ولأن لغتهم الآرامية تتخللها ألفاظ كثيرة عربية ، ولوجود أعلام كثيرة شبيهة بالعربية في تاريخهم ، وكذلك أسماء الأصنام العربية .

أما لغة حضارتهـا فهي الآرامية رغم تغلب العناصر العربية على العناصر الآرامية المؤسسة لهذه الدولة في أيامها الأخيرة ، واذا أضفنا الى كل ذلك أسماء الاعلام المستمدة من العربية كأذينـة ، وعبده ، وأوس ، وأسد ، ومعن ، وجذيمة ، وأوس الله ، وعمرو ، وعمر ، وعميرة ، وبرغوث ، وبكر ، وحنضل ، ورجب ، ولظم ، وكعب ، ووهب . (وقد ذكرها جميعاً الأستاذ ليثمان في بحثه في الأعلام النبطية بالإضافة الى جملة أعلام مستمدة من مصادر يونانية ورومانية وفارسية) [٢] ، نستطيع القول ان اللغة العربيـة سارت مع الآرامية في هذه المملكة جنباً الى جنب كل تلك المدة الطويلة ، وتأثرت كل منهما بالأخرى ، ولعمري انها الفة طويلة المدى استطاعت ان تقدّم للتاريخ مدنية خاصة آرامية عربية أو عربية آرامية .

---

(١) Rubens Duval

(٢) في كتابه Littman : Nabatean Inscriptions

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد قرر علماء الساميات أن لغة النبط الآرامية والأبجدية الآرامية واتصالها بالعرب اتصالاً مباشراً أثر تأثيراً واضحاً في الحضارة العربية الوثنية القديمة ، وأفادت منه اللغة العربية فوائد عظمى في شمال الجزيرة [١] .

ووُجدت آثار اللغة النبطية (الآرامية والعربية) في جميع المناطق التي تبوأتها هذه الدولة ، وظهر بعضها في منطقة بصرى الشام ، وبعضها في منطقة البتراء نفسها ، والبعض الآخر في العلى بالحجاز ، وهي آثار متشابهة الا أن الرُقُم المكتشفة في بصرى تمتاز عن بقية الرقم بظهور مسحة رومانية عليها ، وهذا لا يشوه كيانها الخاص الآرامي العربي . ونستدل من هذه الآثار على أن اللغة الآرامية ، وإن تخللتها عناصر عربية هامة ، قد حافظت على كيانها ، بل طبعت العناصر العربية بطابعها الخاص . مما أدى إلى امداد العربية بمادة آرامية غزيرة . وأقدم الرقم النبطية يعود تاريخه الى سنة ٣٣ ق . م ، وأحدثها بعد زوال الدولة سنة ١٠٦ م .

درس الأستاذ ليتمان آثار النبط دراسة دقيقة ، وخرج بنتائج هامة تاريخية ولغوية ؛ واننا نستمد هذه الآثار الكتابية ، وهي آثار ضريحية غالباً درسها كثير من علماء الساميات [٢] وهذا أحدها :

(١) رقيم فهر وجذية

يتكون هذا الرقيم من ثلاثة أسطر قصيرة ، وقد وُجد في أم الجمال من أعمال شرقي الأردن ، وذهب الأستاذ ليتمان الى أنه دُون في عهد غير بعيد من العهد الذي دُون فيه رقيم النمارة الآنف الذكر ، واليك ذلك كما ورد بعد قراءته :

---

(١) Corpus Inscript. Semitic, Pars II nos 157—189. وراجع أيضاً ص ٢١٥ من Cooknorth : Semitic Inscriptions .

(٢) Monnaies Nabatiennes. Revue Numismatique 1905.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأصل	وهذه ترجمته [١]
(١) دنه نفشو فهرو	(١) هذا قبر فهر
(٢) بر سلّي ربو جذيمة	(٢) ابن المحارب العظيم جذيمة ٠
(٣) ملك تنوخ	(٣) ملك تنوخ

استعرضنا هذا الرقيم في كتاب اللغات السامية للدكتور ولفنسون ، فارتبنا في ترجمة السطر الثاني منه لورود كلمة (ربو ܪܒܘ) بعد لفظة (سلي) ٠ وقد أثبت معنى (ربو) ، ربي ، وهذا المعنى ليس صحيحاً لهذه الكلمة فان معناها الصحيح هو (العظيم ، الكبير وما اليهما) ٠ فاذا وضعناها في معناها الصحيح بعد كلمة (سلي) واعتقدنا « سلي » علماً يفسد معنى السطر كله تماماً ٠ لذلك اضطررنا الى الشك أيضاً في كون كلمة (سلي) علماً ، وعدنا الى معاجم اللغة السريانية نستقصي معنى (سلي) فوجدنا أنها لا يجب أن تقرأ (سلي) بل (شلي) بالشين ٠ وقد توهم من قرأها بالسين ، ونحن نعذره لأن حرفي السين والشين لهما رسم واحد في الأبجدية النبطية ، والشاهد على ذلك أن الحرف ذاته وبصورته هذه قرأوه في رقيم آخر (شينا) لا (سينا) ، وعلى ذلك يكون تقديرنا بكونه (شلي) صحيحاً ٠ ثم نعود الى كلمة (شلي) نفسها فلا نجدها علماً بل صفة تابعة للعلم (فهر) ومعناها (المحارب) أو (المقاتل) ، وهي مستمدة من كلمة (ܫܠܘܠܐ شلولو) أي (معركة ، اشتباك الحرب ، الحرب) [٢] ٠ أما فعلها فقد ضاع في السريانية ، وبكل تأكيد كان موجوداً في الآرامية سابقاً ٠ ونقدر أن يكون (ܫܠ شل) فتكون كلمة (شلي) مأخوذة من

(١) ان كلمة « نفشو » بالسريانية ما عدا النفس تعني أيضاً . هرم . قبة مدفن . منا ص ٤٦٠ ، وهي كما عرفها الآراميون سابقاً تماماً .

(٢) قاموس أودو السرياني ص ٩٨٢ استناداً على شرح اللغوي الآرامي بن شرويشون ، وقاموس منا السرياني العربي ص ٧٩٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فعل (شل ـ الحرب) ومعناها بالضبط (المحارب) ؛ واذا شفعناها بكلمة (ربو) يستقيم المعنى تماماً ، لأن (ربو) العظيم وُضعت صفةً للمحارب ، فنقول (المحارب العظيم) كما أثبتناها ، ويكون الرقيم اذاً « نقش فهر بن جذيمة » لا « فهر بن سلي » كما أثبتها ولفنسون [1] .

أما ارتيابنا في عدم صحة الترجمة في السطر الثاني فهو في محله ، لأن هناك آراء مختلفة حول (سلّي) ، فذهب الأستاذ ليتمان الى أن لفظ سلي يحتمل أن يكون مشتقاً من (سليم) العربية ؛ ويفضل نولدكه أن يكون هذا اللفظ (صلاه) ؛ ويؤثر الأستاذ ولفنسون أن يكون من (الأسماء الآرامية الأصلية) [2] ، وهو نعت (لا علم) كما أثبتناه ، ومما يلاحظ أن هذا الرقيم صيغت كلماته بحسب اللهجة الآرامية العربية أي بالإمالة نحو الضمة الخفيفة (الزقاف) .

وقد أثبت الأستاذ ولفنسون في كتابه (اللغات السامية) [3] رقماً أخرى من الرقم النبطية ، وهي كالرقيم السابق صريحة كلها ، ولم نر حاجة إلى إثباتها لأن جميع هذه الرقم لا تتعدى أن تكون لغتها آرامية ، وفي بعضها جنوح الى الأسلوب العربي ، وفي البعض الآخر أسماء أصنام عربية ، وهذه الأمور تفيدنا في إثبات أن اللغتين الآرامية والعربية تفاعلتا في مدنية الأنباط ، فكوّنتا هذه اللهجة الخاصة التي نراها في هذه النقوش .

وهنالك لون جديد آخر في المدنية الآرامية العربية ، وهذا يظهر لنا في آثار مدنية تدمر ، وهي أحدث عهداً من المدنيه النبطية ، فان نقوشها الأثرية لا تتجاوز القرن الأول قبل الميلاد ، ويمتد تاريخها الى القرن الثالث ، ولكنها مفيدة جداً بالنسبة الى موضوعنا هذا .

---

(١) تاريخ اللغات السامية ص ١٣٩ .
(٢) اللغات السامية ص ١٤٠ .
(٣) اللغات السامية ص ١٤١ – ١٤٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان كلمة « تدمر ܬܕܡܘܪ » آرامية معناها « الأعجوبة » ، وهي من المدن القديمة جداً ، ذكر سفر الملوك الأول أن سليمان الملك بناها في البرية ، ومهما يكن الأمر فانها أقدم جداً من الآثار المنقوشة الباقية على أنقاض هياكلها القديمة وأساطينها التي ما زال بعضها واقفاً . واشتهرت تدمر بتجارتها الواسعة فأمّها التجار من الهند والفرس والعراق وسورية وفلسطين ومصر وأوربة ، وكانت رومة سيدة العالم القديم تهاب جانبها فمنحتها حقوقاً خاصة لم تمنحها لغيرها من مدن الشرق الخاضعة لسلطانها .

وما يهمنا في موضوعنا هذا لغتها وتعاون لهجتها هي واللغة العربية ، وقد كانت القبائل التدمرية من العنصر الآرامي امتزجت به بعض العناصر العربية ، وهو ما أبقى من لهجتها الآرامية آثاراً عربية بيّنة ، كما أثرت لغتها الآرامية باللغة العربية تأثيراً مهماً ، وأعظم ناحية عربية في لغة تدمر هي الأعلام العربية وما اليها بالاضافة الى تأثرها بألفاظ يونانية ورومانية كثيرة .

ظهرت معظم الآثار التدمرية في منطقة تدمر ، ووجدت نقوش تدمرية في إفريقية ورومة وبلاد المجر والنكثرة لأن جموعاً كثيرة من التدمريين دخلوا الجيش الروماني[1] .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الأستاذ ولفنسون ذهب الى أن لغة تدمر « تشبه اللهجات الغربية الآرامية على أن ألفاظاً كثيرة كانت في نطقها قريبة من النطق المألوف في الآرامية الشرقية »[2] ، وكنا قد علقنا على هذه النظرية في بحثنا « تحقيقات تاريخية لغوية في حقل اللغات السامية » وقلنا إن اللهجة التدمرية هي لهجة آرامية غربية صرفة ، وسبب ظهور بعض الألفاظ بمسحة اللهجة الشرقية يرجع الى اتصالها باللغة العربية[3] . والآن نؤيد رأينا نظراً لما نراه في هذه اللهجة من الصبغة الغربية الصرفة .

(١) شابو تعريب الأستاذ شكري لورنس ، نشره الأستاذ مراد سري جقي ص ٢٨ .
(٢) ولفنسون ص ١٢٨ .
(٣) تحقيقات تاريخية لغوية ص ٣٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان لغة تدمر الأولى ، وإن كانت خالية من الألفاظ العربية ، بعكس اللغة النبطية ، الا أننا نعتقد أن عناصر عربية دخلتهـا بعد امتزاج العناصر العربية بقبائلها الآرامية ، وعلى الأخص بعد سنة ٢٧٢ م حينما انتهت سيادة المدينة بأمر ملكتها الباسلة الزباء [١] إذ كثرت العناصر العربية رويداً رويداً ، وتحوّل الشيء الكثير فيها الى اللون العربي ، ومن الطبيعي أن تتأثر اللغتان الآرامية والعربية بهذا التمازج العنصري الشديد .

وقد درس علماء الساميات لغة تدمر الآرامية دراسة وافية ، واستخرجوا منها فوائد لغوية وتاريخية هامة ، وأشهر الذين درسوها ونشروها الأستاذ ليدزبارسكي [٢] ، وكليرمونغانو ، وود الذي نشر رقماً تدمرية هامة [٣] ، ودي فوغويه [٤] وغيرهم .

ونجد مدنية آرامية عربية أخرى في مدينة الحضر العراقية مشابهـة تمام المشابهة لمدنية تدمر ومعاصرة لها ، فلغتها آرامية صرفة إلا أن الأقوام التي عمّرت هذه المدينة كانوا على الأرجح خليطاً من الآراميين والعرب كما كانت الحال في تدمر وفي البتراء ، وقد ذهب المؤرخ جورج رولنسون الى أبعد من ذلك فأورد آراء المؤرخين القدماء ، وذهب الى أن سكان الحضر كانوا عرباً خلصاً . ومعنى ذلك أنهم كانوا يتكلمون العربية بطبيعة الحال لكونهم عرباً ، ولكنهم كانوا يدوّنون أخبارهم بالآرامية ، بدليل ظهور آثار آرامية صرفة في هذه المدينة ، وقد نقل صديقنا الأستاذ فؤاد سفر في مقاله النفيس « حفريات الموسم الأول ـ الحضر » المنشور في مجلة « سومر » التي تصدرها مديرية الآثار القديمة العامة في بغداد ، نقل كلام المؤرخ المشار اليه ، ونحن ننقله هنا لفائدته

---

(١) ولفنسون ص ١٣٣ .

(٢) Handbuch dere Nordsemitischen Epigraphik

(٣) Wood : Les Ruines de Palmyre, Londres in — Fol.

(٤) M. de Vogué : Syrie Centrale Inscriptions Sémitiques « 105 Nos. »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الكبرى في موضوعنا هذا . قال : « الحضر عاصمة لمجتمع عربي في عصر الانبراطور طريانس ، فقد استوطنت القبائل العربية مناطق من الجزيرة منذ أقدم الأزمان ، وعدّ زننون الأرضين المحصورة بين الخابور وبلاد بابل جزءاً من جزيرة العرب ، وعدّها سطرابون قسماً من العربية الصحراوية ، وظهر العرب في الجزيرة العليا في زمن بومبي ، وذكر بلوطارخ وابيان أن سكان مملكة الرها كانوا عرباً ، وذُكرت الحضر في حروب طريانس لأول مرة ، وقيل عن أهلها كلما ذُكروا منذ تلك الحرب بأنهم عرب [1] » ، وأضاف الأستاذ سفر بقوله : « وشخّصهم عرباً ديوكاسيوس أشهر من كتب من الرومان عن الحروب بين الفرس والرومان » .

ثم يعود الأستاذ سفر فيعلّق على هذا معللاً سبب وجود اللغة الآرامية في آثار الحضر فيقول : « ولا يمكن أن تتخذ الكتابة الآرامية المكتشفة في الحضر دليلاً على أن الحضريين كانوا آراميين ، لأن الآرامية كانت في تلك العصور لغة المعاملات التجارية والتداول والتراسل ، بين شعوب الشرق على اختلاف ألسنتهم ، فقد كتب بها ملوك الفرس الاشكانيين (الاشكانيون) ، وكذلك ملوك الدويلات التابعة لهم ، ويحتمل جد الاحتمال أن دوّن بها العرب الحضر عربا ، ونترصّد في التنقيبات المقبلة في هذه المدينة الى أدلة تاريخية قد تلقي ضوءاً على هذا الموضوع » [2] .

ونحن لا حاجة بنا الى مناقشة هذه النظرة لعدم وجود مصادر ثابتة الى الآن تؤيدها او تنفيها ، وإن كان المؤرخون القدامى قرّروا ذلك ، وحاجتنا فقط الى

---

(١) نؤاد سفر عن المؤرخ جورج رولنسون من كتابه The sixth Great Monarchy ص ٣٣٤ - ٥ .

(٢) مجلة سومر الجزء الأول المجلد الثامن سنة ١٩٥٢ ص ٤٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

التصريح بأنه سواء كان سكان الحضر مزيجاً من الآراميين والعرب شأن سكان تدمر والبطراء ومملكتيهما ، أو كانوا عرباً خلصاً ، فمن المؤكد وجود اللغتين الآرامية والعربية في هذه المدينة جنباً الى جنب . ومن المؤكد حدوث التقاء طويل وتفاعل كامل بينهما في هذا الصعيد الموحد ، ولا بد لهذا التفاعل من ترك آثاره في كلتا اللغتين حسبما شاهدنا في مملكتي تدمر والبتراء .

ومع ذلك لا نرى الا أن سكان الحضر كانوا مزيجاً من العرب والآراميين ، شأنهم شأن سكان البتراء وتدمر . ومما يقوّي رأينا هذا ورود اشارات تاريخية صريحة عند بعض الكتبة وهي أن (الساطرون) كان جرمقانيا [١] وقومه جرامقة [٢] ، والجرامقة اراميون بشهادة كثير من المؤرخين [٣] ، ونولدكه وهو من المستشرقين يؤيد أن (الجرامقة) من أصل آرامي او نبطي [٤] ، وطبعاً لا يمكن الجزم بأن جميع السكان كانوا (جرامقة) . وقد ذكر الأصبهاني أن العباد من قضاعة ، وهم نصارى العرب ، نزلوا الحيرة ، فهزمهم شابور ، فصار معظمهم ومن فيه نهوض الى الحضر من الجزيرة بقودهم الضيزن بن معاوية التنوخي ، فمضى حتى نزل الحضر ، وهنا الساطرون الجرمقاني فاقاموا به [٥] . وهذا يكفي الآن للدلالة على وجود الأقوام الآرامية ، ثم على ورود موجة عربية من قضاعة ونزولهم عليهم ، مع العلم أنه أطلق على أحد الضيازن اسم (برشميا حضضا) ومعناه (ابن السماء) فتأمل .

---

(١) الاغاني الجزء ١١ ص ١٦٢ ومعجم البلدان (مادة الحضر) .
(٢) ابن خلدون الجزء الثاني ص ٢٤٩ .
(٣) احمد ابن الفقيه الهمذاني مختصر كتاب البلدان ص ٧٧ و ١٣٦ .
(٤) مجلة لغة العرب السنة الثالثة (١٩١٣ - ١٩١٤) ص ١٧٢ ، التنبيه والاشراف للمسعودي ص ٦٨ .
(٥) الأغاني جزء ١١ ص ١٦٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الى الآن كنا نتكلم عن المدنية المشتركة بين العرب والآراميين في عهد الوثنية ، وقد رأينا هاتين الأمتين الشقيقتين متلازمتين متجاورتين منذ أبعد عصور تاريخها الموحد ، كما رأينا لغتيهما متساندتين متعاونتين منذ نشوئها الى عهد النضج والانتاج ، والآن ننتقل الى العهد المسيحي لنجد اللغتين الساميتين متماسكتين في عروة وثقى لا تنفصم .

تم هذا اللقاء في مدينة الحيرة العراقية ، وكانت تبعد عن الكوفة ثلاثة أميال الى جنوبيها [١] ، وعن النجف مسيرة ساعة للفارس الى جنوبية الشرقي [٢] وفي هذه المدينة تجمعت قبائل عربية كثيرة من العنصر العربي ، وحكمتها سلالتان عربيتان هما التنوخيون واللخميون ، وورد ذكر بعض قبائلها العربية مثل مذحج وطي وكلب وتميم [٣] ومن المؤكد أن النصرانية سادت في الحيرة قبل القرن الرابع الميلادي [٤] . والى جانب هذه الجموع العربية العريقة في القدم كنا نرى في فجر تأريخها طوائف كثيرة من النبط [٥] ، وهم لا شك آراميون عنصراً ولغة ، ومما يؤيد تمازج العرب وهؤلاء الآراميين ما ورد في أمالي السيد المرتضى أن خالداً بن الوليد (رضي الله عنه) لما فتح الحيرة سأل عبد المسيح ابن بقيلة : أعرب أنتم أم نبط ؟ أجابه عرب استنبطنا ، ونبط استعربنا [٦] وكان هناك أقلية فارسية [٧] وجالية يهودية [٨] ، إلا أن الأكثرية الساحقة

---

(١) معجم البلدان (مادة حيرة) .
(٢) لامنس (المعلمة الاسلامية مادة حيرة) .
(٣) معجم البلدان (مادة حيرة) .
(٤) النصرانية وآدابها لشيخو ص ٤٥٢ – ٤٥٣ .
(٥) الاغاني ١٦ : ٥١
(٦) امالي السيد المرتضى ١ : ١٨٨ .
(٧) كلدو اثور الجزء ٢ : ٢٦٦
(٨) الطبري ٨ : ٢٤٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من سكانها كانوا من العرب والآراميين (النبط) . وقد أطلق المؤرخون العرب اسم (نبط العراق) على بقايا البابليين والآراميين في العراق ، وهم الذين يتكلمون الآرامية [١] ؛ وسماها المؤرخون النصارى (بيت أرمايا) اي ديار الآراميين [٢] .

من هذا كله نستنتج أن اللغتين الآرامية والعربية تصالحتا في هذه المدينة أيضاً ، وحصل امتزاج بين سكانها المنتمين الى هاتين الأمتين العريقتين ، الأمر الذي يؤكد انا حتمية تأثر اللغتين احداهما بالأخرى ، إلا أن اللغة العربية على ما يظهر كانت لغة الأدب والدوائر الرسمية والى جانبها اللغة الآرامية في كثير من مرافق الحياة .

ومن المؤكد ان العلم والأدب كانا زاهرين في الحيرة إبان مجدها ، وقد ورد في المزهر للسيوطي أن أول من كتب بالعربية حرب بن أمية بن عبد شمس تعلم من أهل الحيرة [٣] . وقد وردت نصوص تاريخية زاخرة تروي اخبار مدارس الحيرة منذ اقدم عصورها ، وحدثنا صاحب الأغاني أن المرقش الاكبر وهو ابو عمر الشيباني ، وأخاه حرملة ، درسا الكتابة على نصراني من اهل الحيرة [٤] ، وقصة (صحيفة المتلمس) الشاعر الجاهلي مشهورة في الأدب العربي ولجهل الشاعر القراءة طلب الى صبي من اهل الحيرة قراءة الصحيفة المشؤومة [٥]

وكان الحيريون يدرسون اللغة العربية لكونها لغتهم العنصرية ، ويدرسون الآرامية السريانية وهي لغة طقوسهم الدينية وبها كانوا يحبرون شعائرهم الروحية

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ١ : ٨٥ .
(٢) السنهادوسات الشرقية ، طبعة شابو ص ٦٦٧ .
(٣) المزهر للسيوطي ٢ : ٢١٥ .
(٤) الاغاني ٥ : ١٨١ .
(٥) الاغاني ٢١ : ١٢٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهي أيضاً لغة قسم عظيم منهم يتكلمونها في بيوتهم ، وتخرّج كثيرون من العلماء في الحيرة يتقنون اللغتين الشقيقتين أمثال حنين بن اسحاق العبادي الحيري ، مؤلف المعجم الآرامي الشهير ، ومترجم العلوم اليونانية الى الآرامية والعربية [١] والأسقف الحيري حناني يشوع مؤلف المعجم الآرامي العربي الذي استند عليه كثيرا ابن بهلول في معجمه الشهير [٢] .

ومما لا شك فيه ان كنائس الحيرة وديورتها [٣] الكثيرة العدد ساهمت مساهمة فعالة في نشر العلوم والآداب العربية والآرامية جنباً الى جنب بآن واحد ، لأن المعروف عن الديورة منذ فجر وجودها أنها معاهد لشتى العلوم والمعارف البشرية ، واذا استعرضنا قائمة خريجي هذه الديورة ورؤسائها على

---

(١) أخبار العلماء للقفطي ص ١١٧ والفهرست ص ٤٠٩ .

(٢) راجع معجم ابن بهلول ودوفال ، الآداب السريانية ص ٣٨٦ .

(٣) ذكر الشابشتي في كتابه (الديارات) خمسة من ديورة الحيرة هي دير ابن مزعوق ص ١٤٨ ودير الحريق ص ١٤٨ ودير هنـــد ص ١٥٧ وديارات الاساقف ص ١٥٢ وقبة الشتيق ص ١٥٥ (من طبعة بغداد بتحقيق الأديب الفاضل الأستاذ كوركيس عواد عضو المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥١) ، وأورد ياقوت الحموي عشرين ديراً من أديرة الحيرة مع شيء من أخبارها بما فيها الخمسة التي ذكرها الشابشتي ، إلا أن الكاتبين تجنيا على حرمة الديورة وقداسة الزهادة في أخبارهما ، وديورة الحيرة التي ذكرها ياقوت هي : دير ابن براق ص ١٢٠ ، ودير ابن وضاح ص ١٢٠ ، ديارات الأساقف ص ١٢٢ ، دير الأسكون (الأصح : الاسكول) ص ١٢٣ ، ودير بني صرينا ص ١٢٧ ، دير الجرعة أو هو دير عبد المسيح ص ١٣٠ و ١٥٤ ، ودير الحريق ص ١٣٣ ، دير حنضلة ص ٣٥ ، دير حنة ص ١٣٥ ، دير الاكيراح ص ١٣٥ ، دير السوا ص ١٥٠ ، دير المذارى ص ١٥٧ ، دير العلف (زعم انه دير المذارى نفسه ص ١٥٨) ، دير علقمة ص ١٥٨ ، دير اللج ص ١٦٧ ، دير مارت مريم ص ١٦٨ ، دير مارقاثيون (الأصح بتيون) ص ١٦٩ ، دير الزعوق ص ١٧٧ ، دير هند الصغرى ص ١٨٢ ، دير هند الكـــبرى ص ١٨٣ (معجم البلدان الطبعة الأولى في مصر سنة ١٩٠٦ المجلد الرابع) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأخص نجدهم مزيجاً من العرب والآراميين اتحدوا اتحاداً كاملاً وساروا في طريق الدراسة والانتاج الأدبي جنباً الى جنب ، وهو ما هيأ جواً ملائماً لسير اللغتين الى هدف واحد ، ولا نرى حاجة الى ذكر خريجي هذه الأديرة جميعهم لأن ذلك ليس من صلب موضوعنا .

هذا ما نجده من الاتصال بين اللغتين العربية والآرامية في مدينة الحيرة وضواحيها ، وهو كاف لتعاون اللغتين واستمداد إحداهما من الأخرى معنى ولفظاً وأسلوبا .

واذا ذكرنا تلاقي اللغتين العربية والآرامية في حيرة المناذرة اللخميين في العراق وفي ضواحيها ومدارسها وكنائسها ودبورتها ، لا بد لنا أن نذكر الى جانب ذلك تلاقيها في قبائل أنسادهم الغساسنة ، الذين ذهبوا صعداً في معارج المعارف الروحية والأدبية ، واهتموا ببناء الكنائس والديورة اكثر من المناذرة الأمر الذي يفيدنا فوائد عظمى في موضوعنا هذا .

فالغساسنة او الغسانيون قبائل عربية يمنية وهم بنو مازن من الأسد من خزاعة نزحت من منابتها في حادثة سيل العرم نحو سنة ١٢٠ م ، وسكنت أولاً في منطقة من حوران وبادية الشام [١] ، ونزلت على ماء بين زبيد وزمع يقال له (غسان) ، فمن شرب منه فهو (غساني) [٢] ، ولذلك سموا (الغساسنة) او (بني غسان) . وكانوا يدينون بالنصرانية [٣] ، وأسسوا لهم دولة عربية في هذه المنطقة ، وكانت عاصمتها (الجابية) في الجولان [٤] ، وامتدت دولتهم

(١) شرح مجاني الأدب م ١ ص ٥١٣ .
(٢) العقد الفريد ج ٣ ص ٣٣١ .
(٣) حمزة الاصبهاني في مجاني الادب ج ٣ ص ٣١٢ .
(٤) المشرق م ٣ ص ٤٤١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بين دمشق وتدمر [١] ، ثم توسعت فامتدت من دمشق الى الرصافة على شاطيء الفرات [٢] .

والمنطقة التي سكنها الغساسنة في أول أمرهم كانت منطقة (باسان او باشان) المذكورة في أسفار العهد القديم [٣] ، وكان يحدها بادية سوريا شرقاً ، وغور الأردن غرباً ، وأراضي دمشق شمالاً ، وأرض جلعاد جنوباً [٤] ، وحسبما تدل المصادر الغربية أن اسمهم اشتق من اسم الماء (غسان) الذي نزلوا عليه . و (غسان) كما هو معلوم تسمية آرامية منحدرة من فعل « Gso » بمعنى فاض نبع ، تدفق [٥] ، ومن الراجح أن هذه القبائل العربية امتزجت ببقايا الآراميين الضاربين في هذه الربوع منذ أقدم العصور ، وأن منهم كانت ممالك البتراء وتدمر والممالك الآرامية القدمى في دمشق وما جاورها من المناطق السورية المجوفة وما يحيط بها [٦] . ولما كانوا يدينون بالنصرانية كما علمنا ، ويتفقون هم ونصارى هذه البلاد بالعقيدة والطقوس الكنسية ، استمروا يئمون متحدين مع الآراميين سكان البلاد القدماء ويتبادلون اللغة والمذهب الديني على ما هو معلوم لدينا ، ومما لا ريب فيه أن سكان هذه المناطق من النصارى كانوا يجبرون طقوسهم الدينية باللغة الآرامية ، سواء كانوا عرباً او آراميين ، حتى الخارجين على الكنيسة السريانية انفسهم [٧] . ومما يزيد في تأصل العلاقات واستمرارها

---

(١) فيه ص ٢٧٣ .
(٢) المجلة البطريركية السريانية في القدس م ٥ ص ٦ ٢ – ٢٦٨ سنة ١٩٣٨ .
(٣) سفر العدد . الاصحاح ٢١ العدد ٣٣ .
(٤) سفر يشوع . الاصحاح ١٣ العدد ٣٠ . وسفر المزامير ٢١ : ١٣ و ٦٧ : ١٦ .
(٥) قاموس منا السرياني العربي ص ١١٧ وقاموس اودو السرياني (الفعل نفسه) .
(٦) تاريخ لبنان للبارتين ص ٣٦٠ – ٣٦٢ .
(٧) القمة الشهية . ليوسف داود ص ٦٨ وتقرير البطريرك مكاريوس الثالث الملكي (١٦٤٧ – ١٦٧٢) . ودليل المخطوطات العربية في مكتبة باريس الأهلية رقم ٢٢٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بين العرب الغساسنة والسريان الآراميين وحدتهم الكنيسة واستعمالهم اللغتين العربية والآرامية السريانية جنباً الى جنب في سائر مرافق حياتهم الدينية والدنيوية ومما لا ريب فيه أن هؤلاء العرب كانوا يتكلمون العربية في بيوتهم ، ويستعملون الآرامية في شعائر عبادتهم ، ولم يعدموا أقواماً منهم كانوا يتكلمون لغتهم الآرامية الأصلية في بيوتهم ، ويخاطبون اخوانهم العرب ومواطنيهم بالعربية ، وهو ما يجمع بين اللغتين في صعيد واحد . وأمامنا ثلاثة أمور هامة تؤيد امتزاج العرب بالسريان الآراميين وهي :

اولاً — سلاسل الاساقفة الذين تولوا أمور الغساسنة الروحية في مختلف عصورهم . وقد أوردها المؤرخون السريان وعلى الأخص المؤرخ ميخائيل الكبير فاننا نجد هؤلاء الأساقفة مزيجاً من العرب في جميع الأبرشيات الغسانية ، فتيودور رفيق يعقوب البرادعي مثلاً كان عربياً خالصاً [١] . وقد رُسم ، بناءً على طلب الحارث بن جبلة الغساني ، مع البرادعي نفسه برعاية الملكة تيودورة [٢] وكانت ولايته الروحية تشمل بلاد اليمن والمغرب والأقطار العربية وفلسطين وأورشليم [٣] ، وكان كرسيه في مدينة بصرى ، وذكر التاريخ غيره من الأساقفة المنحدرين من محتد عربي أمثال (بطرس أسقف العرب) و (فالغ أسقف قبيلة منذر) و (توما أسقف يبرود) و (يوحنا أسقف يبرود) و (يوحنا أسقف حوّارين) [٤] .

---

(١) أخبار يوحنا اسقف آسيا خبر ٤٩ ص ٦٩٠ طبعة لاند .
(٢) فيه خبر ٢ ص ٣٧٠ .
(٣) فيه ج ٢ ص ٢٥٤ و ٣٧٠ .
(٤) تاريخ ميخائيل الكبير ص ٢٧٤ — ٣١٠ وتاريخ البطاركة لابن العبري في ترجمة البطريركين سرجيس التلي وخلفه بولس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد ذكر المؤرخ ميخائيل الكبير كثيرين من أساقفة هؤلاء العرب في سلاسله التاريخية في مختلف أبرشياتهم في درعا ، ومينونيا حوران ، والرصافه ، والرقة وغيرها [١] . ومن تعداد أسماء هؤلاء الأساقفة ومواطن تخرجهم نتأكد أن بعضهم كانوا عرباً خلصاً والبعض الآخر كانوا آراميين أقحاحا . ولا نرى حاجة الى ذكر أسمائهم هنا لأن ذلك ليس من صلب موضوعنا .

ثانياً — ثبت الديورة الكثيرة التي أسسها او اعاد أيام مجدها ملوكُ العرب الغساسنة في بواديهم وحواضرهم ؛ ومعظم أسماء هذه الديورة عربيـة كدير (العرب) ودير (طي) ودير (اليمن) ودير (عمر) ودير (هند) و (دير جفنة) و (دير العقبة) و (دير الزنبق) و (دير البرج) و (دير عقرب) و (دير اللبان) و (دير اللوز) وغيرها وغيرها [٢] .

وكانت هذه الديورة رياضاً للعلم والفضيلة عصوراً طويلة احتوت بين جدرانها رهباناً وطلاباً للعلم والمعرفة من العرب والآراميين جنباً الى جنب ، ارتشفوا العلوم على مقاعد مدرسية واحدة ، ونشدوا الأدب باللغتين العربية والآرامية معاً ، وتسقف كثيرون منهم في جميع الأبرشيات العربية الآرامية التي ذكرناها وفي غيرها من الأبرشيات السريانية الواسعة النطاق في تلك العصور ، وفي ديورتها الكثيرة ، وكنائسها المنتشرة في كل مدينة وقرية من مدن سورية وبلاد العرب وما بين النهرين وغيرها .

ثالثاً — دفاع الملوك الغساسنة العرب عن الايمان الأرثوذوكسي العربق بكل ما أوتوا من نفوذ وسؤدد وقوة ، ونفورهم من الذين كانوا يضطهدونهم في مملكة بيزنطية ، وقد روى المؤرخون وعلى الأخص يوحنا أسقف آسيا بطولتهم المنقطعة النظير في هذا الميدان ؛ وأهم ذلك الحملة التي جردها المنذر

(١) سلاسل الاساقفة في نهاية تاريخ ميخائيل الكبير .
(٢) فيه ص ٨ والمشرق م ١ ص ٦٣ سنة ١٨٩٨ وفيه م ١٠ ص ٥٢٣ سنة ١٩٠٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ملك الغساسنة على بلاد الروم منتقماً منهم أعظم انتقام [١] ، واهتمام ملوك غسان بأمر سلام الكنيسة السريانية ونجاحها [٢] ، ورفضهم الميل الى مضطهديها [٣] .

ولم تكتف الكنيسة السريانية بخدمتها العرب الغساسنة المتحضرين ، بل بالغت في خدمة سائر العرب المسيحيين الرحل ، فأنشأت لهم طقوساً خاصة بالسريانية والعربية ، وترجمت لهم الانجيل الى العربية ، وأعطت أولادهم جميع التعاليم باللغتين العربية والسريانية ، مما يؤيد اتحاد العرب بأخوانهم السريان منذ أقدم عصور المسيحية ، وقد ذكر المؤرخ ميخائيل الكبير أساقفة كثيرين مما كلا منهم (أسقف العرب) ، وكان هؤلاء الأساقفة ينتقلون مع القبائل العربية النصرانية في فلواتها ، ويقيمون لهم الشعائر الدينية في بيوت الشعر ، وكانوا يخدمون (القداس) مترجماً الى اللغة العربية عن أصله السرياني [٤] .

وبعد انقراض الدولة الغسانية ظل العرب الغساسنة متحدين بالكنيسة السريانية ومخلصين لها أشد الاخلاص ، وآثروا السكنى في المدن والحواضر والقرى في بلاد سورية ، ونزح بعضهم الى العراق وبلاد آثور [٥] ، وحدثنا عنهم العلامة ابن العبري قال : « ظل الغساسنة من ذلك الحين حتى اليوم ـ القرن الثالث عشر ـ متمسكين بعقيدة الطبيعة الواحدة ولا سيما في الحديثة وفي بلاد باعرباي (المنطقة الممتدة بين الموصل وسنجار ونصيبين) وفي القريتين والنبك وسائر أطرافها » [٦] .

(يتبع) (الموصل) غريغوريوس بولس بهنام

(١) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ١٤٨ .
(٢) تاريخ البطاركة لابن العبري ترجمة البطريرك فولا .
(٣) تاريخ ميخائيل الكبير ص ٢٨٢ .
(٤) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية . شيخو القسم ٢ ص ٤١٤ .
(٥) تاريخ يوحنا اسقف آسيا م ٣ ص ١٨٢ طبعة باريس .
(٦) ابن العبري ، تاريخ الدول السرياني ص ٨٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net